الإخلاص في السنة النبوية
حديث "الدين النصيحة..." نموذجا

د. رحيمة بن حمو
كلية الشريعة والاقتصاد
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية– قسنطينة

الملخص:

من أعظم ما تميز به الرسول صلى الله عليه وسلم من أخلاق عالية؛ خلق الإخلاص، فقد ظهر في أحواله وأفعاله، وفي حرصه على نصح قومه وإنقاذهم من الشرك، كما حث عليه أمته بأقواله في الأحاديث التي بلغتنا عنه، وهو من القيم الخلقية الإسلامية التي بدأت تتراجع في حياتنا. ولأهمية هذا الخلق في تماسك المجتمع ورقيه، أردنا المساهمة في إحيائه وإفشائه بين الناس، نصيحةً لديننا ولأمتنا ولأنفسنا. وقد اخترنا في هذه المحاولة نادرة من جوامع الكلم التي تشهد لمحمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة والعظمة؛ حديث تميم بن أوس الداري: "الدين النصيحة". قلنا لمن؟ قال: "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"، حديثا جمع معاني الإخلاص وأبعاد النصيحة في الإسلام؛ رقاها النبي صلى الله عليه وسلم لتحتل مكانة كبرى في الدين، بل لتكون هي الدين. من هذا الحديث، وما يعضده من النصوص الشرعية، نتبين حقيقة الإخلاص ومكانته، ومجالاته وأنواعه.

Abstract

La sincérité est l'une des nobles vertus qui a grandement caractérisé le prophète Mohamed (à lui, bénédiction et salut), ceci était éminent, tant dans son état que dans ces actions, dans son empressement à conseiller son peuple et le sauver de la mécréance et l'idolâtrie. On retrouve son insistance sur cette vertu dans plusieurs de ses éloquents discours qui nous ont parvenus, c'est pour cela que nous nous somme fixer le but de faire revivre cette vertu et de la mètre en pratique dans notre société moderne.

Nous avons choisi pour cet essai le Hadith de Tamîm ben Aoûs ed-Dâri: l'Envoyé de Dieu (à lui, bénédiction et salut) a dit: (La religion, c'est la sincérité). Quand nous demandâmes: (Envers qui?), il répondit: (Envers Allah, envers Son Livre, envers Son Envoyé, envers les chefs des musulmans, et le commun peuple parmi eux). Ce discours a réuni le sens de la sincérité dans toutes ses dimensions dans l'islam; grâce à lui et à d'autres textes de notre patrimoine nous tacheront de mettre en exergue la réalité de la sincérité vue par notre religion, souligner son importance et sa pertinence, définir son domaine et montrer ses cas de figures.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

إن مجتمعاتنا الإسلامية تعاني اليوم من أزمة حادة في القيم التي تحكم حياتها، ولقد نظرت فوجدت داء هذه الأمة في قلة النصح وضعف الإخلاص في المسلمين؛ لدينهم ولأنفسهم، إنه لعمري الداء العضال الذي استبد بالأمة وعيت منه أطباؤها، فالإخلاص قيمة على رأس القيم التي ينبغي على الأمة تمثلها، وتعليمها لأبنائها وتربيتهم على مراعاتها والتمسك بها، فكل ما سوى الإخلاص نابع عنه، متولد منه، ولا يمكن لغيره من القيم أن يعمل عمله إلا به.

إن الإخلاص قيمة لا تظهر في الخارج، وإنما هي روح تلبس المرء فتمتزج به ويمتزج بها، وليس عليه رقيب فيها سوى خالقه، فهي لا تبهت بالرياء ولا تخلق بطول المراس، ولا يمل منها صاحب الطبع السليم، وإن عاداه الناس ونفروا منه.

وإن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو معلم هذه الأمة ومربيها على القيم الخلقية الرفيعة، قد ضرب لنا المثل في الإخلاص والتفاني في النصح لهذه الأمة؛ بما عاناه في دعوته وما ثبت في سيرته من حرص على نصح قومه، وسعي لإنقاذ أمته من الشرك، وهديها إلى سبيل الحق؛ نعلم ذلك بما وصل إلينا من أخباره وآثاره وأقواله، بل نعلمه مما شهد الله تعالى به في كتابه من آيات تصرح أو تشير إلى أن الإخلاص من أعظم ما تميز به هذا الرسول من أخلاق عالية؛ من ذلك: قول الله تعالى: **{فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ}**[1]. ومنها: قوله عز وجل: **{لَعَلَّكَ بَاخِعٌ**

[1] سورة فاطر، الآية 8.

نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}[1].

وكما اتصف عليه الصلاة والسلام بخلق الإخلاص في أفعاله وأحواله، فقد وصفه بأقواله في الأحاديث التي بلغتنا عنه، وقد حث عليه أمته في كل مجالات الحياة دينا ودنيا، ومن أبدع ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم في ذلك، نادرة من جوامع الكلم التي تشهد بنبوته وعظمته، إنه الحديث الذي أخرجه مسلم من رواية تميم الداري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**الدين النصيحة**". قلنا لمن؟ قال: "**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**"، وهو حديث جامع لمعاني قيمة الإخلاص وأبعاد النصيحة في الإسلام، والتي رقاها النبي صلى الله عليه وسلم لتحتل مكانة كبرى في الدين؛ بل لتكون هي الدين والدين هي. ونحن نتناول هذا الموضوع في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى الإخلاص ومشروعيته

المبحث الثاني: حديث "الدين النصيحة"

المبحث الثالث: مجالات الإخلاص وأنواعه

[1] سورة الشعراء، الآية3.

المبحث الأول: معنى الإخلاص ومشروعيته

أولا: معنى الإخلاص

الإخلاص في اللغة: من خلص الشيء خلوصا، إذا كان قد نشب، ثم نجا وسلم.

والخلاص مصدر كالخلوص: النجاة، ويكون مصدرا للشيء الخالص، وتقول: فلان لي صافية وخالصة، هو خالصتي وخلصاني، والجمع: خلصاني وخلصائي أي: أخلائي، قال الشاعر:

منا النبي الذي قد عاش مؤتمنا * ومات صافية لله خلصانا.

والإخلاص: التوحيد لله خالصا، ولذلك سميت سورة "قل هو الله أحد" سورة الإخلاص.

وأخلصت لله ديني: أمحضته، وخلص له ديني.[1]

وفي قوله عز وجل: **{إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}**[2]، المخلَصون (بالفتح): المختارون. والمخلِصون (بالكسر): الموحدون.

ولما كان الإخلاص من أعمال القلب والروح، اتخذه الصوفية ضمن مفاهيمهم ومصطلحاتهم الأساسية، وتباروا على تعريفه وتنافسوا في بيان حقيقته؛

---

[1] ينظر في هذه المعاني: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، (175-100هـ)، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ط2، مؤسسة دار الهجرة، إيران، 1409هـ، 186/4-187.

[2] سورة يوسف، الآية 24.

فقال الجنيد: "الإخلاص ما أريد به الله من أي عمل كان"[1]. وقال رويم[2]: "الإخلاص ارتفاع رؤيتك من الفعل"[3].

وقال القشيري: "الإخلاص إفراد الحق سبحانه في الطاعة بالقصد وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله سبحانه دون شيء آخر؛ من تصنع لمخلوق أو اكتساب محمدة عند الناس أو محبة مدح من الخلق أو معنى من المعاني سوى التقرب به إلى الله تعالى"[4].

فإذا تم الإخلاص لله تعالى في قلب العبد، تلبس به في حياته، وتولد عنه الإخلاص للخلق صدقا ونصحا وعدلا... فيعطي كلاً ما يناسبه من الإخلاص.

ثانيا: مشروعية الإخلاص

نصوص الشريعة التي تحث على الإخلاص والنصح للإسلام والمسلمين أكثر من أن تحصى، ونحن نرصد هنا عددا منها اكتفاء ببعضها لتعذر حصرها:

---

[1] محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم الكلاباذي (ت 380هـ)، التعرف لمذهب أهل التصوف، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، ص99.

[2] هو رويم بن أحمد بن يزيد كنيته أبو محمد، من بغداد ومن جلة مشايخهم، جده رويم بن يزيد حدث عن ليث بن سعد وغيره وكان فقيها على مذهب داود الأصبهاني وكان مقرئا فقرأ على إدريس بن عبد الكريم الحداد توفي سنة 303هـ. ينظر: أبو عبد الرحمن السلمي (ت 412هـ)، طبقات الصوفية، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ، 1998م، ص148.

[3] الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، المرجع السابق، ص99.

[4] عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت 465هـ)، الرسالة القشيرية، تحقيق: عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة، دت، 359/2.

1- نصوص القرآن في الحث على الإخلاص

لم يعن القرآن الكريم بعد الإيمان بالله تعالى بشيء، عنايته بالحث على الإخلاص ورفع شأن المخلصين، ولقد ورد جذر كلمة الإخلاص: (خ ل ص) في القرآن أربعا وعشرين مرة (24) على الأقل، وهذه بعض النماذج منها:

أمر الله تعالى نبيه بالإخلاص فقال عز وجل: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ}[1]. وقال تعالى: {قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ}[2]. وقال أيضا: {قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي. فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ...} [3]

وأمر عز وجل المؤمنين بالإخلاص فقال: {قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ}[4]. وقال عز وجل: {فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}[5]، وقال أيضا: {هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[6].

وقال عز وجل في ذم من أعرض عن ذكره من أهل الكتاب: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ

---

[1] سورة الزمر، الآية: 2.

[2] سورة الزمر، الآية: 11.

[3] سورة الزمر، الآيتان: 14-15.

[4] سورة الأعراف، الآية: 29.

[5] سورة غافر، الآية: 14.

[6] سورة غافر، الآية: 65.

الْقَيِّمَةِ}[1].

وجعل الله تعالى الإخلاص عصمة للعبد من غواية الشيطان: {قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ}[2].

وجعله الله تعالى عصمة من عذاب النار: {إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ. وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ}[3].

كما وضع الله تعالى الإخلاص شرطا لصحة التوبة من جريرة النفاق: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا. إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا}[4].

وقد ذكر جذر كلمة النصيحة: (ن ص ح)، التي هي بمعنى الإخلاص، في القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة على الأقل، منها:

أنه عز وجل طالب به المؤمنين ليستحقوا من الله عز وجل الجنة التي وعدهم بها: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[5].

---

[1] سورة البينة، الآية 5.

[2] سورة الحجر، الآيتان: 39-40.

[3] سورة الصافات، الآيات: 38-40.

[4] سورة النساء، الآيتان: 145-146.

[5] سورة التحريم، الآية 8.

وجعل الله النصيحة شرطا لرفع الحرج عن المعذورين: {لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[1].

والنصيحة مما حاجّ به نوح عليه السلام قومه في قوله عز وجل: {قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}[2].

وهي ما أعذر به صالح عليه السلام إلى قومه: {فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ}[3].

وشعيب عليه السلام: {فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ}[4].

كما ورد معنى الإخلاص في القرآن بلفظ: التبتل في قوله عز وجل: **{وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا}**[5]. أي كما قال أبوعبيد القاسم: "أخلص إليه إخلاصا... وانقطع إليه بعملك ونيتك وإخلاصك"[6].

---

[1] سورة التوبة، الآية: 91.

[2] سورة الأعراف، الآيتان: 61-62.

[3] سورة الأعراف، الآية: 79.

[4] سورة الأعراف، الآية: 93.

[5] سورة المزمل، الآية: 8.

[6] أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، غريب الحديث، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، دار الكتاب العربي، بيروت، 1396هـ، 20/4.

2- نصوص السنة في الحث على الإخلاص

وفي السنة أحاديث لا تحصى في الحث على الإخلاص، نذكر بعضها على سبيل المثال، ونمعن النظر في الحديث الذي اخترناه نموذجا لهذا الموضوع ويعد من جوامع الكلم، لما حواه، على قلة ألفاظه وصغر مبناه من معان واسعة. وقد أفرد الإمام مسلم بابا من كتاب الإيمان اختار له عنوانا: نص الحديث "بيان أن الدين النصيحة"، وكذلك فعل غيره من العلماء، ومما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم زيادة على هذا الحديث:

عن جرير بن عبد الله قال: "بايعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم". وفي رواية أخرى: "على السمع والطاعة، فلقّنني: "فيما استطعت، والنصح لكل مسلم"[1].

وأخرج الحاكم في المستدرك عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه جبير قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخيف[2]، فقال: "نضر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها، ثم أداها إلى من لم يسمعها، فرب حامل فقه لا فقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن: إخلاص العمل لله، والطاعة لذوي الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم"[3].

---

[1] رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان أن الدين النصيحة، ورواه البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: " الدين النصيحة..." حديث رقم 57.

[2] هو خيف منى، وهو مسجد كان النبي صلى الله عليه وسلم ينزل به. والخيف ما ارتفع من الوادي قليلاً من مسيل الماء، ولا يكون إلا بين جبلين، ومنه مسجد الخيف بمنى؛ لأنه في خيف الجبل.

[3] محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري (ت 405هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ، 1990م، 162/1،

قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين... ولم يخرجاه"[1].

وأخرج الطبراني من حديث حذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من لا يهتم بأمر المسلمين، فليس منهم، ومن لم يمس ويصبح ناصحا لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه، ولعامة المسلمين فليس منهم"[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "حق المسلم على المسلم ست..." وذكر منها: "وإذا استنصحك فانصح له"[3].

عن حكيم بن أبي يزيد عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "دعوا الناس يصيب بعضهم من بعض، فإذا استنصح أحدكم أخاه فلينصحه"[4].

عن معقل بن يسار أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من عبد استرعاه

حديث رقم: 294.

[1] قال المحقق: ووافقه الذهبي. ينظر: المرجع نفسه. وقال في مجمع الزوائد: "رواه ابن ماجه باختصار. رواه الطبراني في الكبير وأحمد، وفي إسناده ابن إسحاق عن الزهري، وهو مدلس، وله طريق عن صالح بن كيسان عن الزهري، ورجالها موثقون...". ينظر: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة 807هـ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414هـ، 1994م، 139/1، حديث رقم: 593.

[2] رواه الطبراني بإسناده في المعجم الصغير، باب من اسمه محمد، حديث رقم 907 وقال: "لم يروه عن أبي جعفر الرازي إلا ابنه، ولا يروى عن حذيفة إلا بهذا الإسناد".

[3] رواه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب: من حق المسلم للمسلم رد السلام

[4] رواه أحمد في مسنده، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، 1421هـ، 2001م، 193/24، حديث رقم 15455.

الله رعية، فلم يحطها بنصيحة، إلا لم يجد رائحة الجنة"[1].

المبحث الثاني: حديث "الدين النصيحة"

حديث "الدين النصيحة" نموذج لنصوص السنة الحاثة على التخلق بالإخلاص، ومن خلال هذا المبحث، سنتبين مكانته وأقوال العلماء فيه، ثم معنى لفظ النصيحة وحكمها في الشرع. ونص الحديث كالآتي:

عن تميم الداري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"الدين النصيحة"** قلنا لمن؟ قال: **"لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"**[2].

أولا: مكانة الحديث وأقوال العلماء فيه

يعد هذا الحديث من جوامع الكلم التي أُتِيها النبي صلى الله عليه وسلم، وهي الأحاديث التي جاءت في صياغة موجزة، إلا أنها تضمنت من المعاني الشرعية ما لا يحصى، وقد تلقى العلماء هذا الحديث بالحفاوة والاهتمام، فتوسعوا في شرحه وتحليله وجعلوه من الأصول المعتمدة في فهم الدين، ومن أقوالهم فيه:

قال السيوطي: "وقد قال العلماء إن هذا الحديث ربع الإسلام، أي أحد

---

[1] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب من استرعي رعية فلم ينصح، رقم 7150.

[2] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: بيان أن الدين النصيحة. وجعله البخاري عنوانا لباب من كتاب الإيمان لكنه لم يخرجه. قال ابن حجر تعليقا عليه: "هذا الحديث أورده المصنف هنا ترجمة باب ولم يخرجه مسندا في هذا الكتاب لكونه على غير شرطه، ونبه بإيراده على صلاحيته في الجملة، وما أورده من الآية وحديث جرير يشتمل على ما تضمنه" ينظر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ، 137/1.

أحاديث أربع يدور عليها. قال النووي بل المدار عليه وحده"[1].

قال المناوي:"قالوا هذا الحديث وإن أوجز لفظا، أطنب معنى لأن سائر الأحكام داخلة تحت كلمة منه وهي (لكتابه)، لاشتماله على أمور الدين أصلا وفرعا وعملا واعتقادا؛ فمن آمن به وعمل بمضمونه جمع الشريعة بأسرها **{مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ}**[2]، ولم يوفه حقه من جعله ربع الإسلام بل هو الكل"[3].

قال ابن دقيق العيد: "ومن المجاز «الدين النصيحة» كأنه بولغ في النصيحة إلى أن جعل الدين إياها، وإن كان في الدين خصال أخرى غيرها"[4].

ثانيا: معنى النصيحة وحكمها في الشرع

1- النصيحة في اللغة

النصيحة: فَعِيلَة من النصح، وأصل النصح في لغة العرب له معنيان:

المعنى الأول: أن النُّصح بمعنى الخلوص من الشوائب والشركة، فيقال: عَسَلٌ ناصح أو نصوح، إذا لم يَشُبْهُ شيء. ويقال: "نصحت العسل إذا صفيته من الشمع، شبه به تخليص القول من الغش"[5]

قال أبو الحسن بن أبي ذر: "النصح في الجملة عندي هو: فعل الشيء الذي به الصلاح والملاءمة؛ مأخوذ من النصاحة، وهي السلوك التي يخاط بها، وتصغيرها

---

[1] السيوطي، الديباج، المرجع السابق، 97/1.

[2] سورة الأنعام، الآية: 38.

[3] محمد عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ، 1994م، 416/2.

[4] ابن دقيق العيد، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، مطبعة السنة المحمدية، دت، 124/1.

[5] السيوطي، الديباج، المرجع السابق، 97/1.

نُصَيحة، يقول العرب: هذا قميص منصوح أي: مخيط، ونصحته أنصحه نصحا إذا خطته"[1]

المعنى الثاني: التئام شيئين بحيث لا يكون ثَمَّ تنافر بينهما. ومنه قيل للخياط: ناصح؛ لأنه ينصح الطرفين، إذ يجمعهما بالخياطة. "من نصح الرجل ثوبه: خاطه، شبه فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بما يسده من خلل الثوب"[2].

قال الخطابي: "وهي كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له. وليس في كلام العرب كلمة مفردة يستوفى بها العبارة غير معناها، كما أنه ليس في كلامهم كلمة أجمع لخير الدنيا والآخرة من لفظ الفلاح"[3].

2- النصيحة في اصطلاح الشرع

قال الجرجاني: "النصح إخلاص العمل عن شوائب الفساد... (و) النصيحة هي الدعاء إلى ما فيه الصلاح والنهي عما فيه الفساد"[4].

---

[1] ينظر: محمد بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري ت380هـ، بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار،تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1420هـ، 1999م، 105/1.

[2] السيوطي، الديباج، المرجع السابق، 97/1.

[3] عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي 849 - 911 هـ، الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق: أبو إسحق الحويني الأثري، دار ابن عفان، الخُبَر، العربية السعودية، 1416هـ، 1996م، 96/1. وينظر في هذا المعنى: أبو البقاء الكفوي، كتاب الكليات، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ، 1998م، ص1468.

[4] علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405هـ، ص309. وينظر أيضا: المناوي، فيض القدير، 769/3.

قال النووي في شرح الحديث: "ومعنى قوله (الدين النصيحة) أي عماد الدين وقوامه النصيحة كقوله: (الحج عرفة) أي عماده ومعظمه"[1]. ذلك كان أهم ما في أمور الدين النصيحة.

وقال العيني: "وأصل النصيحة مأخوذ من نصح الرجل ثوبه إذا خاطه بالمنصح وهي الإبرة. والمعنى أنه يلم شعث أخيه بالنصح كما تلم المنصحة. ومنه التوبة النصوح؛ كأن الذنب يمزق الدين والتوبة تخيطه"[2].

وقال المازري "النصيحة مشتقة من نصحت العسل إذا صفيته من الشمع؛ شبه تخليص القول من الغش بتخليص العسل من الخلط"[3].

والنصح نقيض الغش. وهو أيضا: "بذل المودة والاجتهاد في المشورة"[4].

ومما سبق ننتهي إلى أن معنى النصيحة في الحديث شامل لمعنى النصح، وجبر المسلم لأخيه المسلم، كما تشمل معنى الإخلاص والصدق في المودة والمحبة والولاء، لأنه إذا قصرناها على المعنى الأول، لم يستقم معنى الحديث، بل إن ابن رجب الحنبلي جعلها شاملة للدين كله على مراتبه الثلاثة الواردة في حديث جبريل عليه السلام، قال: "النصيحة تشمل خصال الإسلام والإيمان والإحسان التي ذكرت في حديث جبريل، وسمى ذلك كلَّه دينا، فإن النصح لله يقتضي القيام بأداء واجباته على

---

[1] تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (ت: 702هـ)، شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، ط6، مؤسسة الريان، 1424هـ، 2003م، ص50.

[2] بدر الدين العيني الحنفي، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، 360/2.

[3] بدر الدين العيني الحنفي، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، 360/2.

[4] بدر الدين العيني الحنفي، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، 360/2.

أكمل وجوهها، وهو مقام الإحسان، فلا يكمل النصح لله بدون ذلك، ولا يتأتى ذلك بدون كمال المحبة الواجبة والمستحبة، ويستلزم ذلك الاجتهاد في التقرب إليه بنوافل الطاعات على هذا الوجه وترك المحرمات والمكروهات على هذا الوجه أيضا"[1].

3- حكم النصيحة

ذهب كثير من العلماء إلى أن النصيحة من الفرائض الشرعية، إلا أن فرضها ليس عينيا، بل هو على الكفاية:

قال ابن دقيق العيد: "والنصيحة فرض كفاية إذا قام بها من يكفي سقط عن غيره وهي لازمة على قدر الطاقة"[2].

وقال الملا علي القاري: "وقالوا النصيحة فرض كفاية إذا قام به واحد سقط عن الباقين، والنصيحة لازمة على قدر الطاقة، إذا علم الناصح أنه تقبل نصيحته ويطاع أمره، وأمن على نفسه المكروه، وإن خشي أذى فهو في سعة"[3].

وما ذهب إليه العلماء يصح إذا قصر معنى الحديث على النصيحة القولية لأئمة المسلمين وعامتهم، أما إذا أخذنا معنى النصيحة على ظاهره في الحديث، وأخذنا في الاعتبار المعنى اللغوي للكلمة، فإننا نجد النبي صلى الله عليه وسلم قد وسع مدلول النصيحة ليشمل معاني أخرى؛ فقد نسبها إلى الله وإلى كتابه ورسوله،

---

[1] زين الدين عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي (ت 795هـ)، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1422هـ، 2001م، 218/1.

[2] ابن دقيق العيد، شرح الأربعين النووية المرجع السابق، ص 52.

[3] علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت 1014هـ)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت، 1422هـ، 2002م، 258/14.

ولا يمكن أن يصح هذا إذا قصرنا اللفظ على النصيحة القولية، وعندها يكون الحكم المأخوذ من الحديث مختلفا قطعا.

ونعتقد أن هذا الحديث قد بُخِس حقَّه، إذا قُصِر معناه على تقديم المشورة لمن طلبها أو لمن لم يطلبها، وربما كان للفقه أو للنزعة الفقهية أثر في ذلك؛ فإن الفقهاء يقصرون في الغالب اهتمامهم على ما تحويه النصوص من تشريع. ومن طبيعة التشريع أنه يقتصر على الأمور الظاهرة المنضبطة، لذلك نراهم يخرجون من الحديث بخلاصة مقتضبة، مفادها أن النصيحة فرض، إلا أنه على الكفاية، فإن أداها بعض الناس وتحقق الغرض من أدائهم، سقط الوجوب عن باقي الأمة.

بيد أن النصيحة قيمة تتغلغل في نفس المؤمن، يعبق شذاها في كل حركة وسكنة، في الصمت والحديث، في الحضور والغيبة، وأنى للفقه أن يستوعب كل هذا، وكيف له أن يحيط بمقاصدها، وجل عنايته تدور حول الأشكال وظواهر الأقوال والأفعال؟

غير أن الفقه لم يقصر عن اعتبار النية عنصرا وركنا في كل عبادة، بناء على الحديث المشهور: "**إنما الأعمال بالنيات**"[1]، بل إن الفقهاء بنوا عليه قاعدة كلية كبرى عليها مدار الفقه، فكيف يعجز هذا الفقه عن استيعاب فرض النصيحة، وكيف له أن يعتبره فرضا على الكفاية، وهو الذي جعله النبي صلى الله عليه وسلم الدين كله؟

---

[1] حديث صحيح رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ حديث رقم 1. كما رواه ابن ماجة وأبو داود والبيهقي وغيرهم...

وكيف يمكن للنصيحة وهي عمل قلبي يبرز في العمل والسلوك أن يكون فرضا على الكفاية؟ وهل يمكن أن ينوب أحد عن غيره فيه؟

إن اعتبار النصيحة، بالمعنى الذي ورد في الحديث، فرضا على الكفاية لأمر يتناقض مع ما انتهى إليه العلماء من تقدير وإعلاء لمكانة الحديث في الإسلام وشريعته، وأحرى به أن يرتقي إلى مستوى فرض العين على كل مسلم بقدر استطاعته وما أتيح له من مجالات للنصح والإخلاص في العمل، وسيتبين بعد كيف أن فقدانها يرمي بصاحبه في النار ولو جاء بمثل الجبال من الأعمال الصالحة.

ولأن النصيحة تمتد إلى مجالات وأبعاد كثيرة لا حصر لها في حياة المسلم، فقد اعتبرها النبي صلى الله عليه وسلم لب الدين وقوامه، ثم قسمها إلى أنواع يختلف بعضها عن بعض في طبيعته وخصائصه؛ ومن ثم في الأحكام والآثار التي تنشأ عنها فيه، وهو ما يتبين من المبحث الثالث.

المبحث الثالث: مجالات الإخلاص وأنواعه

نص العلماء على أن طبيعة النصيحة تختلف في كل مستحق ذكر في الحديث من مستحقيها؛ فالنصيحة لله غير النصيحة لكتابه، والنصيحة للرسول غير النصيحة التي لأئمة المسلمين ولا هي التي لعامتهم، وبذلك فللنصيحة والإخلاص مجالات متعددة حددها النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث، كما أن للإخلاص أنواعا تظهر أكثر ما تظهر في نصيحة المسلم لإخوانه المسلمين، وهو ما يتبين في العنصرين الآتيين:

أولا: مجالات الإخلاص

ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن النصيحة وهي الإخلاص تستحق لخمسة: لله

عز وجل، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، ولعامتهم، وهي ما اعتبرناه مجالات للإخلاص:

1- الإخلاص لله تعالى

النصيحة لله: كلمة جامعة لأداء حق الله تعالى؛ الواجب منها والمستحب، فحق الله الواجب هو الإيمان به، ونفي الشريك عنه وترك الإلحاد في صفاته ووصفه بصفات الكمال، وأن يُعْبَد وحده بجميع أنواع العبادات التي شرعها، وألا يُتَوَجَّه لأحد بشيء من العبادات إلا له سبحانه وتعالى.

ومن النصيحة لله تعالى: أن يُحَبَّ، وأن يُتَّبَع أمره، وأن تتبع شريعته، وأن يُصدق خبره، وأن يُقبل عليه المرء بقلبه مخلصا له الدين، فالإخلاص في الأقوال والأعمال حق الله عز وجل، والذي يقع في قلبه غير الله في الأعمال من جهة الرياء أو من جهة التسميع لم يؤد حق الله.

قال العلماء: "النصيحة لله تعالى معناها منصرف إلى الإيمان به ونفي الشرك عنه وترك الإلحاد في صفاته، ووصفُه بصفات الكمال والجلال كلها، وتنزيهه عن جميع النقائص والقيام بطاعته واجتناب معصيته، والحب فيه والبغض فيه، وجهاد من كفر به، والاعتراف بنعمته والشكر عليها، والإخلاص في جميع الأمور والدعاء إلى جميع الأوصاف المذكورة والحث عليها والتلطف بالناس"[1].

ويجب أن يرافق الإخلاص سلوك المؤمن بتخليص النية لله تعالى في القول

---

[1] ينظر: ابن دقيق العيد، شرح الأربعين النووية، المرجع السابق، ص 50-51. نسبه إلى الخطابي وغيره من العلماء. وينظر مثل ذلك للإمام النووي في المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1392هـ، 2/38-39.

والعمل، وأن يبتغي وجه الله تعالى في كل ما يقدم عليه من عمل، فإن "أصل كل خير وفلاح في العاجل والآجل مراقبة الله تعالى في كل أخذ وترك، وإيثار ما عند الله تعالى، واتهام النفس على الدوام، مع التزام الأدب وحفظ الحُرم. وكل بلاء وضلال الغفلة عن الله تعالى، وإيثار العاجلة، وتضييع الشريعة، والرضى عن النفس"[1]. وقد ورد في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم، وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار"[2].

---

[1] الكلام لليوسي في رسالته: " تقييد فيما يجب على المكلف أن يعرفه من أصول الدين وفروعه" مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط، رقم: (614) الورقة 80ب -81 أ، نقلا عن خالد زهري، الفقه المالكي والكلام الأشعري: محاولة لإبراز بعض ملامح الإبداع الكلامي والصوفي عند فقهاء المغرب، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1432هـ، 2011م.

[2] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، حديث رقم 1905.

ولما قرئ هذا الحديث على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: "صدق الله ورسوله: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[1]. فالحديث تفصيل وبيان لما أجملته الآية؛ فمن أن أراد بسعيه الدنيا، كان له ذلك، حتى لو كان عمله من أعمال الآخرة كالقتال في سبيل الله وتعلم العلم وتعليمه والإنفاق في وجوه الخير...

بل إن إخلاص العبد لله تعالى يجعل من عمل الدنيا طريقا إلى الآخرة، ويستحق به الثواب عند الله تعالى، وهذا ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم في غيرما موضع؛ من ذلك: ما رواه أبو ذر رضي الله عنه أن ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: "يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم" فقال: "أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بُضع أحدكم صدقة". قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: "أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر"[2].

---

[1] سورة هود الآيتان 15-16. وقد ورد استدلال معاوية على معنى الحديث بالآية في عدة مصادر منها: سنن الترمذي، بتحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، 171/4، حديث رقم 2382.

[2] راه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، حديث رقم: 1006.

وعلى ذلك فكل ما يفعله المؤمن في حياته من أعمال الدنيا والآخرة مبتغيا وجه الله تعالى، مخلصا في الامتثال لأمره ونهيه، معرضا عن كل ما يسخطه ولا يرضيه، يعود عليه بالخير والفلاح لنفسه في دنياه وآخرته، فالله عز وجل غني عن العباد؛ نصحوا أو تركوا، قال الخطابي: "وحقيقة هذه الأوصاف راجعة إلى العبد في نصحه نفسَه، فإن الله سبحانه غني عن نصح الناصح"[1]. فالنصيحة لله تعالى أن يكون عبدا خالصا له في عبوديته عملا واعتقادا.

2- الإخلاص لكتاب الله

اجتهد العلماء في تحرير أحكام تفصيلية في النصيحة لكتاب الله، بحسب ما يقتضيه الحال، وبحسب ما عنَّ لهم من حقوقه على المسلمين:

فقال العلماء: "وأما النصيحة لكتابه سبحانه وتعالى فبالإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله، لا يشبهه شيء من كلام الناس، ولا يقدر على مثله أحد من الخلق ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته، وتحسينها والخشوع عندها، وإقامة حروفه في التلاوة، والذب عنه لتأويل المحرفين، والتصديق بما فيه والوقوف مع أحكامه وتفهم علومه وأمثاله، والاعتبار بمواعظه، والتفكر في عجائبه، والعمل بمُحكَمه، والتسليم لمتشابهه، والبحث عن عمومه، والدعاء إليه وإلى ما ذكرنا من نصيحته"[2].

وقال السندي: والنصيحة لكتاب الله أن "... يكون خالصا في العمل به وفهم معناه عن مراعاة الهوى فلا يصرفه إلى هواه، بل يجعل هواه تابعا له ويحكم به

---

[1] ابن دقيق العيد، شرح الأربعين النووية، المرجع السابق، ص 51

[2] ينظر: ابن دقيق العيد، شرح الأربعين النووية، المرجع السابق، ص51. و السيوطي، الديباج، المرجع السابق، 97/1.

على هواه، ولا يحكم بهواه عليه، وعلى هذا القياس"[1].

ومعنى ذلك أن يُعْطي المؤمن القرآن حقه، وهو أن يُوقِن بأنه كلام الله سبحانه وتعالى، لا يشبهه شيء من كلام الخلق، ولا يقدر على مثله أحد، وأنّه أعظم الآيات التي أوتيها الأنبياء، وأنه الحجة البالغة إلى قيام الساعة. كما على المؤمن أن يوقن أنّ هذا القرآن فيه الهدى والنور وأنّ حكمه حق؛ فما أمر الله به في القرآن وجب إنفاذه، وما نهى عنه وجب الانتهاء عنه، وما أخبر به سبحانه فيه وجب تصديقه، وعدم التردّد فيه، ومن حقوقه العمل به، والوقوف عند حدوده، وتعظيمه بالتلاوة والفهم والتدبر، وتعليمه للناس.

وتعليم القرآن للناس يشمل تعليم المسلمين قراءة القرآن على الوجه الذي أخذه الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبيان تفسيره ومعانيه، وحثهم على تعظيمه وتقديسه، والعمل بما تضمنه من هداية ومن أحكام، والاهتداء به والتخلق بالأخلاق التي مجدها وحث عليها...

كما أن تعليم القرآن للناس بشمل تبليغ غير المسلمين به وبما جاء به من هداية للبشر، والعمل على أن يصل العلم به إلى أكبر قدر من الناس، فيعرفوا قدره ويدركوا فضله لعل قلوبهم أن تنشرح لسماع هدايته والاهتداء بها... وذلك يتطلب الدفاع عنه ضد من يحاربه بالدعاية الكاذبة ويرسم في أذهان الناس صورة غير صحيحة عنه فيصد بذلك عن سبيل الله، ويحرم الناس من خيره... وذلك يتطلب جهادا ومجاهدة عظيمة؛ للنفس في تقصيرها وخذلانها، ولأعداء الدين في حربهم

[1] نور الدين بن عبد الهادي السندي، حاشية السندي على النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط2، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، 1406هـ، 1986م، 158/7.

الشرسة ضد هذا الدين وضد القرآن الذي هو أصله ووعاؤه؛ فكريا وعلميا وإعلاميا...

ومن نصيحة الصحابة لهذا القرآن حفظهم له في الصدور وفي السطور، وتدوينه في المصاحف، فقد أشار عمر بن الخطاب على أبي بكر رضي الله عنهما بكتابة المصحف لما استحر القتل بالقراء يوم اليمامة خشية ضياعه، فكتب المصحف الكتابة الأولى، وسارع حذيفة بن اليمان إلى عثمان رضي الله عنهما، ليحثه على إدراك المسلمين في الأمصار، لِما رآه من اختلاف بينهم في القرآن بسبب اختلاف القراءات... فكتب المصحف في رسم جامع، وجعله في نسخ عديدة فرقها على الأمصار، لتكون مرجعا لهم عند الاختلاف، ومن نصح الصحابة لكتاب الله تعالى؛ جلوس العلماء منهم لتعليمه وتفسيره في مساجد المدن والقرى...

3- الإخلاص لرسول الله

أما النصيحة للرسول صلى الله عليه وسلم فتكون بحبه والصلاة عليه والدعاء له بالوسيلة والفضيلة، كما تكون نصيحته بتصديقه فيما أخبر، وبطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يُعْبَد الله تعالى إلا بما شرع رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن تعظم سنته، وأن يحافظ المسلمون عليها من النسيان والضياع؛ ويهتَموا بتعلُّمها وتعليمها والعمل بها وانتهاج نهجها... وغير ذلك مما هو حق للرسول صلى الله عليه وسلم على المسلمين. وذلك اقتداء بصحابته الذين حفظوا سنته؛ بنقل أقواله وأفعاله وأوصافه، وكل ما تعلق به من كبيرة أو صغيرة، ورووها لمن لم يحظ بشرف لقائه من التابعين، وما منعهم من تدوينها إلا نهيه صلى الله عليه وسلم عن ذلك، خشية أن تختلط السنة بالقرآن، فلما أمن المسلمون على القرآن، انطلقوا في كتابة

السنة وتدوينها وتصنيفها وتبويبها على أوجه مختلفة ومتنوعة.

ومما ذكره العلماء في النصيحة لرسول الله: "... تصديقه على الرسالة، والإيمان بجميع ما جاء به، وطاعته في أمره ونهيه، ونصرته حياً وميتاً، ومعاداة من عاداه، وموالاة من والاه، وإعظام حقه، وتوقيره، وإحياء طريقته وسنته، وإجابة دعوته، ونشر سنته ونفي التهمة عنها، واستئثار علومها والتفقه في معانيها، والدعاء إليها، والتلطف في تعليمها، وإعظامها وإجلالها، والتأدب عند قراءتها، والإمساك عن الكلام فيها بغير علم، وإجلال أهلها لانتسابهم إليها؛ والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه، ومحبة أهل بيته، وأصحابه، ومجانبة من ابتدع في سنته، أو تعرض لأحد من أصحابه ونحو ذلك"[1].

وتقتضي موالاة من والى النبي صلى الله عليه وسلم أن يوالي كل مسلم آمن به؛ سواء كان على طاعة أم كان على معصية، وسواء وافق اجتهاده اجهاده في فهم هدي النبي صلى الله عليه وسلم وامتثاله أم لم يوافقه، فإن حب أتباع النبي عليه أفضل الصلاة والتسليم من حبه، وقد أخبر أنه ادخر شفاعته لهم يوم القيامة، فكيف يمكن لمسلم أن يحقد على مسلم بعد هذا؟ وكيف يمكنه أن ينصب نفسه قاضيا يحكم على الناس؛ يمقت هذا ويكره ذاك ويبعد ذلك من زمرة أتباع النبي صلى الله عليه وسلم مهما كانت الأسباب، بل كيف للمسلم محاربة المسلمين وقتلهم وتشريدهم وإضاعة أموالهم وتدمير بيوتهم عن قصد أو عن غير قصد، ناهيك عن مخالفة الكفار في ذلك؛ سواء كانوا عونا له أم كان عونا لهم؟ إن هذا لعمري قمة

[1] ينظر: ابن دقيق العيد، شرح الأربعين النووية، المرجع السابق، ص 51. وينظر: السيوطي، الديباج، المرجع السابق، 97/1

الضلال، وما أخلص لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج يغرد في مظاهرة يستنكر فيها تلك الرسوم الآثمة في مجلة "مهجورة" أرادت أن تجدد الدعاية لنفسها بعد أن أشرفت على الإفلاس، وهو يقوم بقتّل المسلمين ويشردهم أو يعين على ذلك أو يشهده صامتا، أو حتى يرضى به غائبا.

4- الإخلاص لأئمة المسلمين

جعل العلماء الإخلاص لأئمة المسلمين على شقين: شق يتعلق بولاة الأمر، وشق يتعلق بالعلماء، وذلك لاشتراكهم في اسم الإمامة وإن اختلف المسمى؛ فإمامة الولاية والحكم غير الإمامة في العلم، وإن كان أحدهما لا يستغني عن الآخر؛ فالحكم بغير علم ضلال، ولا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له[1].

- أما الأئمة الذين هم ولاة الأمر، فقد ذكر العلماء أن النصيحة لهم: طاعتهم في المعروف، وعدم طاعتهم في المعصية، وأن يُجتمع معهم على الحق والهدى، وعلى ما لم يُعلم فيه معصية، وأن تُؤلف القلوب لهم، وأن يُجْتَمع عليهم، وأن يُدْعَى لهم... قال ابن عبد البر: "ففي هذا الحديث أن من الدين النصح لأئمة المسلمين وهذا أوجب ما يكون، فكل من واكلهم وجالسهم وكل من أمكنه نصح السلطان لزمه ذلك إذا رجا أن يسمع منه"[2]، ثم نسب ابن عبد البر معنى ذلك إلى الإمام

---

[1] العبارة من جوامع الكلم وردت في رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري لما ولاه قضاء الكوفة، ينظر: عمر بن شبة (ت262هـ)، تاريخ المدينة، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد، جدة، 1399هـ، 775/2.

[2] أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ,محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1387هـ، 285/21.

مالك[1].

وقال السيوطي: "والنصيحة لأئمة المسلمين معاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به وتذكيرهم برفق ولطف وإعلامهم بما غفلوا عنه من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم، وتألف قلوب الناس لطاعتهم والصلاة خلفهم والجهاد معهم، وأداء الصدقات لهم وأن لا يطروا بالثناء الكاذب، وأن يدعى لهم بالصلاح"[2].

على أنه مما ينبغي التنويه به، أن التفاصيل التي ذكرها العلماء، هي مجرد نماذج وأمثلة لا تستوعب كل مظاهر النصيحة التي أمر بها النبي صلى الله عليه وسلم، بل إن النصيحة تشمل كل ما يحقق صلاح الجماعة في حاضرها ومستقبلها، في دينها ودنياها، لأن الأمر بنصيحة أولي الأمر إنما هو للمقام الذي هم فيه لا لأشخاصهم وذواتهم، ولذلك، فإن النصيحة لولاة المسلمين وحكامهم تعني العمل على استقرار الدولة وتوجيه الحكم نحو الوجهة الصحيحة؛ حيث يتحقق الأمن والأمان للناس، ويتحقق الحكم الصالح الراشد، الذي يأخذ بيد العباد والبلاد نحو الصلاح والفلاح مصداقا لقوله تعالى: {الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ}[3]. وهذه المسائل لا يمكن حصرها في عدد معين، بل تطرأ حسب الظروف والأحوال ومقتضيات العصر الذي نحن فيه، فرب أمر كان فيه صلاح غدا من أكبر المفاسد، ورب أمر كان يراه الناس صلاحا ثم

---

[1] المرجع نفسه والموضع نفسه.

[2] السيوطي، الديباج، المرجع السابق، 97/1، وينظر: ابن دقيق العيد، شرح الأربعين النووية، المرجع السابق، ص51-52. ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، المرجع السابق، 223/1.

[3] سورة الحج، الآية 41.

تبين بعد زمن أنه سبب للهلاك، فالاستمرار على الأمر بطاعة الحكام رغم ما أحدثوه من الظلم والفجور، ورغم تضييعهم لمصالح المسلمين ورغم تعاونهم مع الكفار ضد شعوبهم... بناء على ما ذهب إليه جمهور العلماء من ترك الخروج على أئمة الجور خشية الفتنة، الاستمرار على ذلك والثبوت عليه أمر يحتاج إلى نظر. وما نصح لله ورسوله من أمر الناس بطاعة أمراء ضالين مضلين، وترك زجر هؤلاء الأمراء والعمل على ردهم إلى جادة السبيل. وليس القصد بهذا أن القول بالخروج عليهم، كما هو رأي بعض العلماء، هو الصحيح، وإنما المقصود هو أن على المسلمين، والعلماء منهم بوجه خاص، أن يجدوا حلولا مناسبة وأن يستفيدوا من تجارب الأمم الأخرى في حل مشكلة الاستبداد التي عششت في أمتنا، ووجدت غذاء تستمر به في الفتاوى الاجترارية التي ما تفتأ تتجدد ويوقد عليها كلما خبت... وما نصح لله ورسوله؛ من أمر الناس بطاعة أمراء ضالين مضلين، وترك زجر هؤلاء الأمراء والعمل على ردهم إلى جادة السبيل.

وأما الأئمة الذين هم العلماء: فنصيحتهم محبتهم لأجل ما هم عليه من الدين، وما يبذلون للناس من العلم والخير، ونصرتهم فيما يقولونه من أمر الشريعة، وفيما يبلغونه عن الله تعالى، وقبول ما رووه وتقليدهم في الأحكام وإحسان الظن بهم والذب عنهم وعن أعراضهم[1] ... إن توقير العلماء من أهم وجوه النصيحة، لأن العلم إذا أهين خبت جذوته وساد مكانه الجهل والضلال، ومن الإخلاص لله تعالى الإخلاص للعلم الذي نزله على رسوله، ومن الإخلاص للرسول صلى الله عليه

[1] ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، المرجع السابق، 39/2. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، المرجع السابق، 138/1.

وسلم، الإخلاص للعلم الذي ورثه للعلماء، فالعلماء هم ورثة النبي صلى الله عليه وسلم، وهم خلفاؤه على الحقيقة، لأنهم خلفوه في هداية الناس وبيان الدين لهم... وليس من الإخلاص أن يتخذ العلم مطية إلى مطالب الدنيا، ولا من الإخلاص كسر عفة العالم أو مساومته على ما عنده من العلم، كما أنه ليس من الإخلاص ترك قول أهل العلم والعمل بقول أدعيائه...

5- الإخلاص لعامة المسلمين

مما قاله العلماء في الإخلاص لعامة المسلمين، وهم من الأئمة من ولاة الأمر والعلماء، "... إرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم، وإعانتهم عليها، وستر عوراتهم، وسد خلاتهم، ودفع المضار عنهم، وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص، والشفقة عليهم، وتوقير كبيرهم، وتخوُّلهم بالموعظة الحسنة، وترك غشهم وحسدهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير، ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه، والذب عن أموالهم وأعراضهم، وغير ذلك من أحوالهم بالقول والفعل وحثهم على التخلق بجميع ما ذكرناه من أنواع النصيحة"[1]...

قال أبو الحسن بن أبي ذر: "والنصيحة لجماعة المسلمين: الشفقة عليهم، وتوقير كبيرهم، ورحمة صغيرهم، وتفريج كربهم، والسعي فيما يعود نفعه عليهم في الآجل، ودعوتهم إلى ما يسعدهم، وتوقي ما يشغل خواطرهم ويفتح باب الوسواس عليهم، وإن كان في نفسه حقا وحسنا، ومن النصيحة للمسلمين رفع مؤنة بدنه

[1] ابن دقيق العيد، شرح الأربعين النووية، المرجع السابق، ص52. وينظر: السيوطي، الديباج، المرجع السابق، 97/1.

ونفسه وحوائجه عنهم"[1].

قال ابن رجب الحنبلي: "ومن أنواع نصحهم بدفع الأذى والمكروه عنهم إيثار فقيرهم وتعليم جاهلهم، ورد من زاغ منهم عن الحق في قول أو عمل بالتلطف في ردهم إلى الحق، والرفق بهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر محبة لإزالة فسادهم ولو بحصول ضرر له في دنياه"[2].

وهذه أمثلة مما ذكره العلماء مما يتعلق بحب الخير للمسلمين والعمل على نفعهم ودفع الضرر عنهم بما استطاع من قول أو فعل، ومن أمر أو نهي، غير أن تحديد الأمر الواجب يختلف باختلاف حال الناصح والمنصوح، فقد يكونان أفرادا من عامة المسلمين، أو كلاهما من الحكام، أو يكون الناصح من العامة والمنصوح من الحكام، كما قد يكون الناصح من الحكام والمنصوح من العامة، وقُلْ مثلَ ذلك بالنسبة للعالم مع العامة، وبالنسبة للعالم مع الحكام، فكل واحد من هؤلاء يتعين الواجب بحسبه وبحسب من له عليه حق النصيحة، وهذا يدخل في معنى حكم الوقت، أو واجب الوقت كما يسميه ابن القيم[3] رحمه الله. على أن أشد الناس مسؤولية في هذا المقام هم العلماء والحكام، فالعلماء لأن عليهم البيان والتبليغ،

---

[1] محمد الكلاباذي، بحر الفوائد، المرجع السابق، 105/1

[2] عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت 795هـ)، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم،
تحقيق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس، ط7، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1422هـ، 2001م، 223/1.

[3] استعمل ابن القيم هذا المصطلح في عدد من كتبه؛ منها: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، طريق الهجرتين، مدارج السالكين، الداء والدواء.

والحكام لأن الأمر بأيديهم، فتتعين عليهم النصيحة أكثر مما تتعين على غيرهم.

ثانيا: وجوه الإخلاص للمسلمين

ثمة مراتب للإخلاص حسب ما ورد في نصوص السنة، وحسب ما ورد في تفسيرات العلماء للحديث، وهي ثلاث: إخلاص بالقلب، وإخلاص بالقول، وإخلاص بالفعل، وهذا على مستوى كل المجالات التي وردت في حديث النصيحة، وما سنركز عليه هو الإخلاص لعموم المسلمين، لأن هذا الوصف مشترك بين كل المراتب.

1- إخلاص بالقلب

إخلاص القلب هو صدق النية وإضمار الحب والمودة لكل مسلم، فيحب المرء المسلم الخير لكل المسلمين ويتمنى لهم ويرضى، ما يتمناه ويرضاه لنفسه من أنواع خيرات الدنيا والآخرة، كما يستاء مما يسوؤهم ويضرهم أو يؤذيهم في الدنيا، أو يكون سببا لهلاكهم في الآخرة، ولا يتحقق ذلك إلا بالتجرد من أدران الحقد والحسد والبغض والبخل وغيرها من أخلاق الكفار والمنافقين، متأسيا في ذلك بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، الذي كان يحب أتباعه ويشفق عليهم، بل كان يشفق على من كفر به وآذاه من المشركين ويتمنى لهم النجاة مما هم فيه من الكفر والضلال، حتى لقد يواسيه الله تعالى بالقرآن، فيقول عز وجل: {... **فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**}[1].

لقد علق النبي صلى الله عليه وسلم صحة الإيمان، أو كماله على رأي بعض الفقهاء، على إخلاص المحبة للمؤمنين؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي

[1] سورة فاطر الآية 8.

صلى الله عليه وسلم قال: "**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه – أو قال لجاره – ما يحب لنفسه**"[1]. قال ابن رجب في شرح الحديث: "وقد ذكرنا فيما تقدم حديث النعمان بن بشير، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد؛ إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**"[2]... وهذا يدل على أن المؤمن يسوؤه ما يسوء أخاه المؤمن، ويحزنه ما يحزنه، وحديث أنس الذي نتكلم الآن فيه يدل على أن المؤمن يسره ما يسر أخاه المؤمن، ويريد لأخيه المؤمن ما يريده لنفسه من الخير، وهذا كله إنما يأتي من كمال سلامة الصدر من الغل والغش والحسد، فإن الحسد يقتضي أن يكره الحاسد أن يفوقه أحد في خير، أو يساويه فيه، لأنه يحب أن يمتاز على الناس بفضائله، وينفرد بها عنهم، والإيمان يقتضي خلاف ذلك، وهو أن يشركه المؤمنون كلهم فيما أعطاه الله من الخير من غير أن ينقص عليه منه شيء"[3].

وسلامة الصدر من هذه الأمراض، إنما تكون عندما يعمر القلب بحب الناس والنصيحة للمسلمين، وذلك هو لحمة الإسلام وقوامه الذي به تتحقق الأخوة، وتحصل به الألفة بين الإخوان؛ قال الله تعالى في معرض المن على نبيه بالنعم التي حباه بها: **{هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي**

---

[1] رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، حديث رقم 71.

[2] رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم وفيه تقديم السهر على الحمى، حديث رقم: 2586. ورواه البخاري في صحيحه بلفظ مختلف، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، حديث رقم: 6011.

[3] ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، المرجع السابق، 306/1.

الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[1].

2- إخلاص بالقول

إخلاصك لأخيك أن تقدم له النصيحة في رفق، وأن تسر له بها حتى لا تفضحه، وألا تبالغ في التغليظ عليه فيها حتى لا تأخذه عزة نفسه على إنكار الحق، قال ابن الجزري: "ونَصيحة عامّة المسلمين: إرشادُهم إلى مصالحِهم"[2].

وقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**حق المسلم على المسلم ست. قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: "إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتّبِعه**"[3].

وصور الإخلاص في القول للمسلمين كثيرة، بل لا حصر لها، فقد يكون في صورة نصح وتوجيه إلى طريق الطاعات الخير، أو نهي وزجر عن طريق المعاصي والشرور، وذلك كما يكون من الأئمة للمحكومين، ويكون من العلماء للحكام وللعامة أو للمتعلمين، فإنه قد يصدر من العامة للعامة أيضا؛ بحسب القدرة والإمكان. ويتمظهر الإخلاص في النصيحة بالقول؛ في الإقدام على القول الذي ينبغي في المقام الذي يناسبه، وفي كيفية القول، وفي مضمون القول، حتى يحدث ما

---

[1] سورة الأنفال، الآيتان: 62-63.

[2] أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ، 1979م، 142/5.

[3] رواه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب: من حق المسلم للمسلم رد السلام، حديث رقم: 2162. وذكره البخاري بلفظ: "إذا استنصح أحدكم أخاه فلينصح له" في كتاب البيوع، باب: هل يبيع حاضر لباد بغير أجر وهل يعينه أو ينصحه؟ معللا به هذا السؤال، ولكنه لم يخرجه.

يرجى له من أثر في أصحابه والمعنيين به.

ويدخل في معنى القول، ما يكتب وينشر فيقرأه الناس، في الكتب والمجلات والجرائد واللافتات وغير ذلك، وما يعرض على الشاشات المتنوعة والوسائل السمعية البصرية والوسائل التواصلية... فيعد ذلك من أوعية النصيحة النافعة، حيث لا يألو المسلم جهدا في التبليغ والنصيحة قدر استطاعته، وفيها يجد العالم مجالا لتعليم الناس وتثقيفهم وتهذيب أخلاقهم، بالإرشاد الدائم والمتوالي مع الأيام. وتتعين النصيحة على العاملين في مجال الصحافة والإعلام بأصنافهم، كما لا يجوز لهم الكذب على الناس أو تزييف الحقائق عليهم، أو المبالغة في تهويل ما لا شأن له، أو تهوين ما هو عظيم من أمور الدين والدنيا... إلى غير ذلك مما لا يمكن تصنيفه إلا في خانة الخديعة والخيانة للمؤمنين من ممارسات يقوم بها أهل الصحافة والإعلام لأغراض نفعية ضيقة.

3- إخلاص بالفعل

والإخلاص للمسلمين بالفعل له وجوه متعددة: نذكر منها ثلاثة وجوه: قيام، وسعي، ودفاع.

أما القيام، فببذل الجهد فيما وكل إليه من أمورهم؛ قلَّت هذه الأمور أم كثرت، وعظمت أم صغرت، بل ضاق نطاقها أم اتسع، أعني؛ قل عدد الرعية التي هو مسؤول عنها أم كثر. وكلما كثر عدد الرعية كلما زادت المسؤولية واتسع نطاقها، لذلك كانت مسؤولية الإمام أعظم المسؤوليات. والعلماء الذين شرحوا الحديث لم يتعرضوا، عند تفصيلهم لمظاهر النصيحة وأنواعها، لنصح الإمام لعامة المسلمين، ولعلهم اعتبروا هذه النصيحة عامة، يندرج فيها نصح الإمام للمسلمين بوصفه

مسلما، وبالتالي فهو مأمور بالنصح لكل مسلم بوصف الإسلام، لكن الحقيقة أن الإمام، وكل من تولى مسؤولية أيا كانت؛ صغيرة أم كبيرة، أو عملا مهما قل شأنه، مخاطب على التعيين بنصيحة خاصة؛ هي نصيحة أولي الأمر لمن استرعاهم الله تعالى من المسلمين، وهو ما يصرح به حديث النبي صلى الله عليه وسلم: **"ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة"**[1].

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **"ما من وال يلي رعية من المسلمين، فيموت وهو غاش لهم، إلا حرم الله عليه الجنة"**[2]. فمن قلده الله تعالى شيئا من أمر المسلمين واسترعاه عليهم، أو جعله على مصلحة من مصالح دينهم ودنياهم، ثم خان ولم ينصح فيما ائتمن عليه؛ بتضييع حقوقهم أو التفريط فيما هو مسؤول عنه من أمورهم، فقد غشهم.

قال القاضي عياض: "ومعناه بَيّن في التحذير من غش المسلمين لمن قلده الله شيئاً من أمرهم، واسترعاه عليهم، ونصبه خليفة لمصلحتهم، وجعله واسطة بينه وبينهم في تدبير أمورهم في دينهم ودنياهم. فإذا خان فيما اؤتمن عليه ولم ينصح فيما قُلِّده واستخلف عليه؛ إما بتضييع لتعريفهم ما يلزمُهم من دينهم وأخذهم به، والقيام بما يتعين عليه من حفظ شرائعهم والذب عنها لكل مُتَصَد لإدخال داخِلَةٍ فيها، أو

---

[1] رواه البخاري، كتاب الأحكام، باب من استرعي رعية فلم ينصح، حديث رقم: 7150. وروى مسلم قريبا من لفظه، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، حدديث رقم 227-229.

[2] حديث معقل بن يسار رواه البخاري، كتاب الأحكام، باب من استرعي رعية فلم ينصح، حديث رقم: 7151. ورواه مسلم بلفظ قريب، كتاب الإيمان، باب: "استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار"، حديث رقم: 22. كما أخرجه في كتاب الإمارة بلفظين آخرين.

تحريف لمعانيها، أو إهمال حدودهم، أو تضييع حقوقهم، أو ترك حماية حوزتهم ومجاهدة عدوهم، أو ترك سيرة العدل فيهم... فقد غشهم"[1].

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل من كل المسلمين راعيا، فهو في نظر الشرع راعٍ حكمًا (أي بالقوة)، فما من أحد إلا وله رعية يسأل عنها ممن أو مما وكل إليه القيام بشأنه؛ قال عليه الصلاة والسلام: "**كلكم راع فمسئول عن رعيته؛ فالأمير الذي على الناس راع وهو مسئول عنهم، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهى مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**"[2].

وأما الوجه الثاني: فالإخلاص للمسلمين يكون بالسعي والعمل على نفعهم ودفع البلاء عنهم:

من النصيحة للمسلمين، السعي في حاجاتهم، فإن سعيك –أيها المسلم– في حاجتك ومنافعك ومصالحك إنما هو طلب للدنيا، أما سعيك في حاجة غيرك، فهو سعي لآخرتك. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن**

---

[1] عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت 544هـ)، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: يحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء، القاهرة، 1419هـ، 1998م، 446/1.

[2] رواه البخاري في صحيحه، كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق وقوله: عبدي أو أمتي، حديث رقم: 2554. ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهى عن إدخال المشقة عليهم، حديث رقم: 1829.

مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة"[1].

وأما الوجه الثالث: فيكون الإخلاص للمسلمين والنصيحة لهم بالدفاع عنهم، والإنكار على من قصر في حقهم، والعناية بدفع ما يتهددهم من أخطار هم في غفلة عنها متمثلا في ذلك قول الحق سبحانه وتعالى: **{إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ}**[2]، فمن دافع عن المؤمنين كان منهم ودافع الله عنه كما يدافع هو عن إخوانه، ومن قصر في ذلك، فربما شمله ما ذيل الله تعالى به الآية، بأن يكون من أهل الخيانة أو الكفر والعياذ بالله.

على أن أكثر أعمال النصيحة للمسلمين داخل في عموم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو باب واسع لا حدود له، يجتهد فيه المرء بما استطاع، وكل ميسر لما خلق له.

خاتمة

حديث النبي صلى الله عليه وسلم في النصيحة يعد من جوامع الكلم التي تشهد بنبوته، وهو من النصوص التي تقررت فيها كليات الدين وأصوله، وما تضمنه من تعظيم لمكان النصيحة والإخلاص في الدين يشهد لأهمية هذه القيمة الخلقية التي عليها مدار القبول عند الله تعالى، ثوابا في الآخرة وتوفيقا في الدنيا، وقد نص الفقهاء على أن النصيحة من فروض الكفاية، إلا أن ذلك محمول على نوع معين منها، وهو

---

[1] رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، حديث رقم 2442. ورواه مسلم في صحيحه، كتاب البر، باب تحريم الظلم، حديث رقم 2580..

[2] سورة الحج، الآية 38.

تقديم النصيحة للمسلم بالقول، غير أننا نرى أن المعنى الذي تضمنه الحديث وغيره من النصوص التي أوردناها في هذا البحث يتعدى هذا المعنى ليشمل معان أوسع بكثير، ويتعلق الأمر بتحلي المسلم بالإخلاص في أحواله وأفعاله وأقواله، مما يدل على أن حكم النصيحة هو الوجوب العيني على كل مسلم في كل ذلك، ويتعين كل واجب بحسب الظرف والزمن والحال، وهو ما يسميه ابن القيم بواجب الوقت، حيث يتحدد بحسب اجتهاد المكلف ذاته. وللإخلاص مجالات متعددة حصرها الحديث في خمسة؛ الإخلاص لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، ولعامتهم، وهو يظهر ويتجلى في عدة مظاهر، تشمل الإخلاص بالقلب، وبالقول، وبالفعل، وفي هذا الأخير تتحقق مصالح كثيرة للمسلمين، من خلال ما يتكفل به المسلم تجاه إخوانه وما استرعاه الله تعالى من مصالحهم قياما وسعيا ودفاعا.

وبعد، فهذه محاولة متواضعة للنصح للمسلمين بقدر الطاقة في تنبيههم على ما قل اهتمامهم به من أمر دينهم، وغابت العناية به حتى انطفأت جذوة الإيمان في حياتنا أو كادت، وغدت العلاقات باردة لا روح فيها، ولا يبعد أن يكون السبب في كل ذلك؛ تضييع هذه القيمة الغالية من قيم الإسلام الكبرى والتخلي عن هذا الخلق العظيم من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، التي تحلى بها في نفسه وحثنا عليها وأعلى شأنها حتى جعلها هي الدين، أو قوامه. ولا ندعي استقصاء كل معاني الإخلاص وحصر مجالاته، ولكن أردنا التنبيه إلى أن الإخلاص خلق لصيق بالمسلم، ورديف الإيمان فيه، فهو لا ينفك عنه، ولا يتم دينه إلا به، ومن حُرم الإخلاص فقد حُرم الخيرَ كلَّه، ولم يبق له من الإسلام إلا الاسم، فاللهم ارزقنا الإخلاص في السر والعلن، وفي القول والفعل والعمل، واقبضنا على نهج نبيك غير مبدلين ولا مقصرين،

وصل اللهم على نبيك وحبيبك محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين.

قائمة المصادر والمراجع

– ابن الجزري المبارك بن محمد الجزري أبو السعادات، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ، 1979م.

– ابن دقيق العيد تقي الدين محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري أبو الفتح، (ت: 702هـ)

إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، مطبعة السنة المحمدية، دت.

شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، ط6، مؤسسة الريان، 1424هـ، 2003م.

– ابن رجب زين الدين عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي (ت 795هـ)، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، ط7، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1422هـ، 2001م.

– ابن شبة عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ريطة النميري البصري أبو زيد (ت262هـ)، تاريخ المدينة، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد، جدة، 1399هـ.

– ابن عبد البر يوسف بن عبد الله النمري أبو عمر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ,محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1387هـ.

– أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، غريب الحديث، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، دار الكتاب العربي، بيروت، 1396هـ.

– أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني أبو عبد الله (المتوفى: 241هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، 1421هـ، 2001م.

– البخاري محمد بن إسماعيل الجعفي أبو عبد الله، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، دم، 1422هـ.

– الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك أبو عيسى (209–279هـ)، سنن الترمذي، بتحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، 171/4، حديث رقم 2382.

– الجرجاني علي بن محمد بن علي، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405هـ.

– الحاكم محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري (ت 405هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ، 1990م.

– الخليل بن أحمد الفراهيدي أبو عبد الرحمن، (175–100هـ)، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ط2، مؤسسة دار الهجرة، إيران، 1409هـ.

– زهري خالد، الفقه المالكي والكلام الأشعري: محاولة لإبراز بعض ملامح الإبداع الكلامي والصوفي عند فقهاء المغرب، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب،

1432هـ، 2011م.
– السلمي أبو عبد الرحمن (ت 412هـ)، طبقات الصوفية، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ، 1998م.
– السندي نور الدين بن عبد الهادي، حاشية السندي على النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط2، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، 1406هـ، 1986م.
– السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر 849 - 911 هـ، الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق: أبو إسحق الحويني الأثري، دار ابن عفان، الخُبَر، العربية السعودية، 1416هـ، 1996م.
– العسقلاني ابن حجر أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.
– عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل القاضي (ت 544هـ)، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: يحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء، القاهرة، 1419هـ، 1998م.
– العيني بدر الدين الحنفي، عمدة القاري شرح صحيح البخاري.
– القشيري عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت 465هـ)، الرسالة القشيرية، تحقيق: عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة، دت.
– الكفوي أبو البقاء، كتاب الكليات، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ، 1998م.
– الكلاباذي محمد بن إبراهيم بن يعقوب البخاري (ت380هـ):
بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار،تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحمد

فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1420هـ، 1999م.
التعرف لمذهب أهل التصوف، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.
– مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري أبو الحسن (ت 261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت.
– الملا علي القاري بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي (ت 1014هـ)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت، 1422هـ، 2002م.
– المناوي محمد عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ، 1994م.
– النووي محيي الدين يحي بن شرف أبو زكريا (ت 676هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1392هـ.
– الهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر المتوفى سنة 807هـ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414هـ، 1994م.